من تجربة لي معه

هكذا عرفت العميد الشاطر .. المسؤول والانسان

2 - 2

علي الشاطر

هامش عابر للأشهر العجاف

اذاً .. وبعد هذا التنويه، السالف الذكر، واستطراداً لما تقدم ذكره وسرده واستعراضه، فإنني، ومن حيث توقفت في الفقرة "١٢" أعلاه، المتضمنة نتيجة ماحدث لي من ظروف صعبة بعد منتصف يوليو ١٩٩٤م ومعاناتي من تأثيراتها وانعكاساتها علي وعلى أسرتي مادياً ومعيشياً وسكنياً خلال الثلاثة الأشهر التالية لما حدث لي مما أشرت اليه من التعامل والاستقواء علي، أتواصل، من حيث توقفت، على النحو التالي:

- أنه خلال الثلاثة الأشهر العجاف التي كنت أمر بها، وبينما كنت أتابع موضوعي في اللجنة الدائمة، امتدت الي الايادي الخيرة لبعض الشخصيات ممن علموا عن بعد بما حصل لي في الميثاق، بدأها طيب الذكر المتوفي مالياً في ذمة الله تعالى وهو المرحوم الأستاذ/ محمد الزرقه الذي كان حينذاك رئيساً لتحرير صحيفة الثورة، والذي بمجرد ما وصله وعرف بما جرى لي استدعاني لمقابلته في مكتبه وعبر لي عن أسفه واستنكاره لما حصل وأبدى تعاونه معي مادياً إلى جانب تبنيه لقضيتي إلى البعض في اللجنة الدائمة وصولاً إلى مكتب رئاسة الجمهورية، مما أثمرت جهوده تلك إلى ايصال قضيتي إلى المسؤولين حيث اخذت تلك الجهود مداها من الوقت إلى ما بعد الأشهر الثلاثة.

- وبينما كنت في أحد الأيام متواجداً، كعادتي بعض الأحيان، في مكتب المرحوم الزرقه جاء إلى المكتب الأخ الزميل هشام محمد علي باشراحيل رئيس تحرير صحيفة الايام الغراء لمتابعة بعض اعماله مع المرحوم الزرقه، الذي بادر مباشرة بابلاغ الاخ هشام بما حصل لي، والذي بدوره أبدى استغرابه وتفاعل مع موضوعي وعند مغادرته مكتب الزرقه اصطحبني معه في سيارته الخاصة ولم يقصر معي في ضيافته لي لوجبة غذاء تناولتها معه ظهر نفس اليوم في منزله بصنعاء.

- وأثناء وجودي مع الأخ/ هشام في منزله وتبادلنا الحديث معاً حول موضوعي مع "الميثاق" سألني الأخ/ هشام بقوله لي:

● هل لك معرفة بالعميد علي حسن الشاطر؟

أجبته مباشرة: أعرفه وأسمع عنه كصحفي وكرئيس تحرير صحيفة ٢٦ سبتمبر) الأسبوعية ولكن لم يسبق لي الالتقاء به شخصياً مباشرة..

- وتعبيراً عن تفاعله معي في موضوعي ورغبة منه في التعاون معي، قام الأخ هشام باشراحيل بالاتصال عبر جواله على رقم جوال عرفت فيما بعد من خلال حديثه أن الاتصال كان مع الأخ العميد علي حسن الشاطر الذي تحدث له الأخ هشام مبلغاً إياه عن ما حصل لي في الميثاق ومانتج عن ذلك من ظروف صعبة أمر بها، وبمجرد انتهاء المكالمة أخبرني الاخ هشام بأن العميد الشاطر يطلب مني الذهاب إليه في العاشرة من صباح الغد لمقابلته في مكتبه.

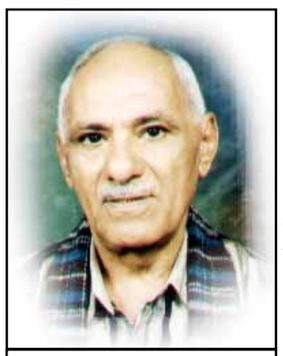
مصطفى شاهر

التجربة مع الشاطر الإنسان

- وفي صباح اليوم التالي، توجهت في الموعد المحدد إلى ادارة التوجيه المعنوي، دون أن افكر أو عرف بما يخبئه لي القدر من فرج قادم، وعند البوابة الرئيسة سألت الحارس المناوب عن مكتب العميد الشاطر، فأخبرني الحارس أن أتوجه إلى مكتب الاستعلامات المجاور للبوابة ففعلت ذلك وقلت لمن كان في الاستعلامات أنا لدي موعد لمقابلة العميد علي الشاطر، واذا بشخص آخر كان موجوداً يلتفت إلى السجل الموجود المدون فيه اسمي ثم يقول لي أنت مصطفى شاهر فأجبته نعم فإذا به يرحب بي قائلاً: اهلاً وسهلاً العميد في انتظارك وأنا مكلف هنا لاستقبالك تفضل معي، وكانت هذه المفاجأة الأولى غير المتوقعة لدي.

- ومباشرة توجهت مع مرافقي إلى مكتب العميد الشاطر الذي بمجرد ما فتح المرافق لي باب مكتبه وأبلغه عن قدومي، اذا به يخجلني بتواضعه ويقف مرحباً بي، تفضل يا أستاذ مصطفى، فصافحني واستقبلني بترحاب لم أكن اتوقعه من هذه الشخصية ذي المكانة العسكرية والصحفية والمسؤولة، رفيعة المستوى، وكأنه على معرفة أو علاقة شخصية بشخصي المتواضع من سابق.

- ومع اندهاشي بذلك الذي كان المفاجأة الثانية لي، أشار لي العميد الشاطر بالجلوس على مقعد أمامه، واستسمحني ببضعة دقائق ريثما ينتهي من عمله مع بعض الموجودين أمامه في المكتب من قبل قدومي اليه.

- وماهي إلا بضعة دقائق فقط، حتى فرغ العميد الشاطر من مقابلته معهم وغادروا المكتب واحداً تلو الاخر..

ثم التفت نحوي وعاود الترحيب بي مشيداً بدوري الصحفي وبما أديته من واجب وطني وحدوي من خلال تفرغي للعمل في صحيفة "الميثاق" وأشار إلى ماعلم به بشأن ما حصل لي مؤخراً في الصحيفة من تعامل غير لائق، معبراً عن الأسف لما حصل وقال لي: أطمئن الدنيا بخير وستعالج الأمور في حينها لاحقاً ان شاء الله ولاتقلق من أي شيء.

- وقد أثلج صدري ما سمعته من العميد الشاطر وبعد أن توقف لحظة، عاد وسألني:

● هل لديك تلفون في المنزل الذي تسكن فيه؟ فأجبته بنعم، وأمليت عليه رقم التلفون الذي قام بكتابته على ورقة أمامه.

● وبينما كنت أهم بالقيام من مقعدي لشكره وتوديعه،وأنا في حالة اندهاش لما لمسته منه من تواضع في استقباله لي وماسمعته في حديثه معي من اشادة وتطمين وتفاعل، بما مثله ذلك بالنسبة لي من مفاجأة اخرى، اذا به - العميد الشاطر - يقوم وهو يودعني، بمناولتي رسالة مكتوبة موجهة إلى مدير مكتبه وفيها توجيه بصرف سبعة الاف ريال لي حيث ناولت رسالة التوجيه لمدير مكتبه الذي سلمني المبلغ المذكور مباشرة ثم غادرت متوجهاً إلى منزلي.

- ولا أخفي كم كانت فرحتي شديدة وأنا أتسلم هذا المبلغ الذي كان بالنسبة لي ثميناً سواء بقيمته المادية لتلك الفترة الزمنية ١٩٩٤م، أو بكون حاجتي الماسة له في ظل ظروف الثلاثة الاشهر العجاف التي كنت وأسرتي معي نمر بها ونعيشها معيشياً.

- وكان توجهي إلى أسرتي في المنزل وفي حوزتي المبلغ المذكور بمثابة يوم عيد صرفت منه جزء بشراء ما لذ وطاب من الغذاء والمتطلبات الاخرى لظهيرة وأمسية ذلك اليوم، وكانت الفرصة مواتية في الوقت نفسه لاتخاذ قراري بضرورة تسفير زوجتي واطفالي إلى عدن في اليوم التالي وأبقيت معي في المنزل بصنعاء أحد أبنائي الأكبر سناً ريثما أتابع موضوعي وخصوصاً فيما يتعلق بتسديد ايجار المنزل المطالب به من قبل المالك.

- وبعد يومين فقط، جاءت المفاجئة الرابعة، وكان ذلك في وقت مبكر من صباح يوم الخميس الذي يأتي، عادة، بعد سهرة عمل ختامية تمهيداً لاصدار الصحيفة ، ٢٦ سبتمبر، صباحاً في موعد صدورها المقرر الأسبوعي، الخميس - حيث رن تليفون المنزل في حوالي السابعة صباحاً، بينما كنت وأبني الموجود معي في المنزل مستغرقين في النوم، فاستيقظ ابني على صوت رنين التلفون الذي كان يتكرر مرات عدة ونحن لم نكن نسمعه، وعندما استيقظ أبني رفع سماعة التلفون على صوت يسأله عني فقال له نائم، فطلب منه ان يصحيني فصحوت ..

- وكانت صحوتي من نومي مصحوبة بانزعاج واستغراب، عن هذا الاتصال التلفوني المبكر، وتحت تأثير ذلك اخذت سماعة التلفون فإذا بمحدثي على الخط يقول لي: صباح الخير، معك العميد علي الشاطر، ثم واصل قائلاً: اذهب الآن إلى مدير مكتبي في الادارة واسمه "محمد عبدالله" فهو بالمكتب في انتظارك، ولكم أن تتصوروا مدى دهشتي وتفاجئي بسماع صوت هذا الرجل الانسان - علي الشاطر - وهو يتصل بي ويحدثني شخصياً عبر التلفون في ذلك الوقت المبكر من صباح ذلك اليوم الخميس، دون ان أكن اعلم بما يعنيه في حديثه لي، بالذهاب إلى مدير مكتبه المذكور..

- وبمجرد انتهاء هذا الحديث التلفوني قمت مباشرة بارتداء ملابسي وكذلك فعل أبني،وغادرنا المنزل توجهنا ومعي أبني إلى ادارة التوجيه المعنوي وهناك التقيت بالاخ مدير مكتب العميد الشاطر، الذي وجدته فعلاً في انتظاري،وما أن رأني وأنا أدخل مكتبه حتى بادرني بعتب لطيف مازحاً: اهلاً يا أستاذ، لقد كان العميد الشاطر يحاول من الصباح الباكر الاتصال بك ولم يرد أحد على التلفون فاضطر إلى المغادرة لأنه كان سهران لاصدار الصحيفة وكلفني بأن لا اغادر حتى اجدك وتأتي إلى المكتب، ولذلك ظليت أنا هنا في انتظارك رغم أنني لم أنم، ومن السهر أنظر كيف عيني حمراء، ولم استطع الذهاب لمنزلي لانام، فاعتذرت له طبعاً ثم ناولني رسالة وقال خذ هذه الرسالة إلى مكتب الرئاسة.

مفاجأة "الفرج" الختامية

- وهنا ايضاً كانت المفاجأة الاخرى التي ادهشتني، عندما قمت بمجرد مغادرتي للمكتب وبيدي الرسالة التي فتحتها مباشرة فاذا بي اطلع عل مضمون الرسالة وعليها توجيه مذيلة باسم وتوقيع فخامة الرئيس علي عبدالله صالح - حفظه الله وكان مضمونها "يصرف للاستاذ الصحفي مصطفى شاهر عبدالكريم مبلغ مائة ألف ريال مساعدة، وقد كانت هذه بضعة الكلمات الرئاسية فعلاً مفاجأة كبيرة لي ويالها من مفاجئة عظيمة.

- وعلى الفور توجهت مباشرة وبصحبتي ابني إلى مبنى سكرتارية رئاسة الجمهورية، وسلمتهم رسالة التوجيه حيث قاموا باجراءات التسجيل للرسالة في الكمبيوتر وختمها، لبضعة دقائق، ثم اعادوا الرسالة الي وأشاروا لي بالتوجه إلى مبنى الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية، القريب من الموقع، لاستلام المبلغ المذكور.

- وتلقائياً توجهت ومعي ابني إلى مبنى الأمانة العامة المشار اليه، وهناك تمت الاجراءات الاعتيادية بكل سهولة ويسر لدقائق معدودات، ثم إلى الصراف الذي سلمني مبلغ المائة ألف ريال، عداً ونقداً وغادرت المبنى وفي حوزتي المبلغ المذكور كاملاً، ولكم ان تتخيلوا مدى فرحتي وسعادتي، كأي شخص في مثل ظروفي تلك، وأنا أسير وابني في اتجاه المنزل وفي حوزتي وملكيتي مبلغ مائة ألف ريال..

- وكان علي منذ لحظة استلامي لذلك المبلغ أن أقوم بتسديد ما علي من التزامات مادية، كانت وظلت تؤرقني، حيث قمت مباشرة بدفع ما علي من متخلفات ايجار المنزل لوكيل المالك، ثم تسديد وتصفية متخلفات فواتير الماء والكهرباء والتلفون كاملة، وغيرها من الالتزامات المادية الاخرى المتعلقة ببعض الديون التي كنت استلفتها من البعض خلال فترة الأشهر العجاف ومابعدها..

- وكل ذلك قمت به وتمكنت من الايفاء بالتزاماته بفضل وفرج من الله سبحانه وتعالى أولاً ثم بشهامة وانسانية العميد علي حسن الشاطر الانسان والشخصية الخيرة التي وقفت معي في محنتي وظروفي الصعبة التي مريت بها، جزاه الله عني خيراً وكثر الله من أمثاله.

- ومن ذلك الحين، وحتى بعد عودتي إلى عدن ومباشرتي لعملي في فرع وكالة أنباء سبأ، اواخر شهر ديسمبر من العام ١٩٩٤م، وإلى الان وأنا أدين لهذا العميد الشاطر الانسان بجميل ما فعله معي من تعاون ومعروف ولن أنسى له تجربتي هذه الخيرة معه مدى ما حييت .. وانها لشهادة حق، لمن هو جدير بها .. والله من وراء القصد ..

أخيراً وليس اخر، معذرة للعميد الشاطر الانسان.

العلاقة الأبوية - الأخوية بين محمد علي لقمان وعلي أحمد باكثير

ولد المحامي محمد علي إبراهيم لقمان رائد النهضة الفكرية والأدبية بعدن في ٦ نوفمبر ١٨٩٨م وتوفي اثناء أداء فريضة الحج في الديار المقدسة في ٢٢ مارس ١٩٦٦م. فرثاه عدد من الأدباء والشعراء. فقال الشاعر حسن علي السقاف من قصيدة طويلة:

اليوم تبكي أمة نبراسها
رجل البلاد وسيفها البتار
هو رائد ومعلم ومفكر
هو مشعل يدهى به دينار

ومن قصيدة للشاعر سعيد محمد سلام المقطري:

ومن مشعر الحرم المكي سار به
جند الإله إلى الرضوان جذلانا
قد عاش فينا أمير القول داعية
للحق يوسعه كشفا وتبيانا

ومن قصيدة للشاعر احمد حامد الجوهري:

يا أيها الثاوي الابر بمكة
عصفت بنا من بعدك الاحزان
قد كنت للمظلوم أكبر ناصر
والظلم لايرضى به انسان

ومن قصيدة طويلة لوالدي الدكتور محمد عبده غانم زوج ابنة لقمان الكبرى وكان رفيقه في رحلة الحج ولذلك تحدث ايضاً عن تلك الرحلة:

فمصابنا في فقد لقمان خسار لايسد
قد كان حادي الركب أني سار بالاظعان يحدو
مازلت أذكر منبر الاصلاح والأهواء حشد
تستصرخ الأقوام ماذا للكريهة قد أعدوا

ومن قصيدة طويلة جياشة بالمشاعر للشاعر محمد سعيد جرادة:

مضى الزعيم الذي قامت زعامته
على دعائم على ذات أوتاد
كم لحظة قد قضيناها بجانبه
لها علوق بالباب وأخلاد
ونظرة الحب لاتجفو محاجره
كالمورد العذب يشفي غلة الصادى
لايبعدن أبو الأحرار إن له
صوتا كما كان حيا يملأ النادي
له على أياد لست أحجرها
وكيف يجحد فضل المحسن البادي
أصغي إلي وزكاني وقرضني
ولم أكن بعد شيئاً بين اندادي

ورثاه ولده الأكبر الشاعر علي لقمان بقصيدة مؤثرة طويلة منها:

وأستاذ أجيال إلى كل سؤدد
أحاديثه من غاليات عظات
ومصباح شعب في ظلام ومحنة
وصوت بلاد جمة العبرات
ففي اليمن الميمون من صوته صدى
وفي بلد الصومال رجع حياة
أمير الصحافيين في كل منزل
وشيخ الحقوقيين في النزعات
وليث قتال دون حق يغوله
عدو أخو حمق ورب حصاة
أيرضى أبو الاحرار حكما سلطا
على أمة في فرقة وفوات
أيرضى أبو الدستور ان يحكم الورى
بغير كتاب الله شرع عصاة

د. شهاب غانم

ولكن الغريب في الأمر أن صديقه الحميم الأديب الكبير الشاعر والمسرحي الحضرمي المصري الاندونيسي علي أحمد باكثير لم يرثه أو على الأقل لم اطلع على رثاء شعري أو نثري له للقمان.

صحيح ان لقمان توفي عام ١٩٦٦م وباكثير كان قد غادر اليمن عام ١٩٣٣م ولم يعد إليها إلا لزيارة قصيرة في ابريل ١٩٦٨م وكان لي شرف أن التقيته لبضعة ساعات رائعة في منزل والدي في خورمكسر اثناء تلك الزيارة بحضور والدي والشيخ محمد سالم البيحاني أي بعد رحيل محمد علي لقمان بنحو عامين وكان باكثير يدرس يومها امكانية العودة للاستقرار في اليمن الجنوبي بعد أن أطلق صرخته الشهيرة في مصر : "لقد ذبحوني وانتهيت" ولكنه بعد ان شاهد رعونة الحكم في جنوب اليمن قرر ألا يستجير من الرمضاء بالنار.

فهل انقطعت الاتصالات بين باكثير ولقمان بين ١٩٣٣م و١٩٦٦م وهل عرف باكثير بنبأ وفاة لقمان وهو الحبر الذي نشر بتوسع في الصحف العدنية وبقية صحف اليمن كما اذاعته إذاعة لندن في نشر الاخبار؟ أم أن باكثير كان قد هجر الشعر منذ الاربعينيات بعد أن أستقر في مصر واتجه نحو كتابة الرواية والمسرحية النثرية؟ ولكن هل كتب باكثير كلمة نثرية رثائية أو أرسل رسالة تعزية إلى آل لقمان؟

وبالفعل باكثير هجر كتابة الشعر "أو على الأقل نشره" ماعدا القصيدة التفعيلية التي يقول فيها :

"أما نكون أبداً .. أو لانكون ابداً"

والتي كتبها تحت هول صدمة نكسة حزيران عام ١٩٦٧م والذي قد لايعرفه كثير من اليمنيين وكثير من العرب أن باكثير هو مخترع الشكل التفعيلي في الشعر العربي وذلك عندما ترجم مسرحية "شكسبير" "روميو وجوليت" إلى الشعر التفعيلي " وسماه النظم المرسل المنطلق" في الثلاثينيات ثم كتب مسرحية "اخناتون ونفرتيتي" بالشعر التفعيلي على وزن المتدارك في عام ١٩٣٨م وان نشرها عام ١٩٤٠م فسبق نازك الملائكة وبدر شاكر السياب إلى ذلك الشكل بقرابة عقد من الزمن.

والسياب يعترف بذلك حيث يقول :" إذا تحرينا الواقع وجدنا ان الأستاذ علي أحمد باكثير هو أول من كتب على طريقة الشعر الحر في ترجمته لرواية شكسبير روميو وجوليت والشعر الحر هنا هو الشعر التفعيلي وليس الشعر المنثور أو قصيدة النثر.

وهكذا فإذا كان الشاعر اليمني من حضرموت أمرء القيس هو صاحب اولى المعلقات فان الشاعر اليمني من حضرموت علي أحمد باكثير كان مبتكر الشعر التفعيلي "وكان يومها لم يحصل على الجنسية المصرية بعد".

وبعد هذا الاستطراد الطويل نعود إلى استغرابنا لعدم كتابة باكثير رثاء للقمان "أو على الاقل عدم اطلاعنا على مثل ذلك الرثاء" وسبب الاستغراب هو العلاقة الابوية الاخوية المتينة جداً بين الرجلين في الثلاثينيات حتى ان باكثير اهدى مخطوطة ديوانه "العدنيات" إلى محمد علي لقمان اضافة إلى زوجة باكثير التي توفيت في صباها فقال:

" إلى روح لا اسميها لحقت بباريها وتركتني ارثيهاوأبكيها في آلام أعانيها وهموم أقاسيها وهوة من اليأس اتردى فيها

وإلى صديقي الحميم الكاتب العظيم الأستاذ محمد علي ابراهيم الذي رزقني الله به عافية بعد بأس ورجاء بعد يأس وعزاء بعد حزن وطمأنينة بعد قلق وسكونا بعد اضطراب أهدى هذه العدنيات تذكاراً للصداقة والحب علي أحمد باكثير.

وهذا الديوان يعمل الدكتور محمد أبوبكر حميد على إصداره والدكتور حميد هو الذي ألف اطروحة دكتوراه عن باكثير واستنفذ الكثير من آثاره. وقد اخبرني د.حميد في الندوة التي عقدت عن باكثير في الشارقة هذا العام وشارك فيها كل منا بورقة انه يستغرب عدم وجود مراسلات بين لقمان وباكثير في اوراق باكثير "الذي كان يحتفظ باوراقه بشكل منظم وحصيف" في ماعدا الفترة القصيرة التي قضاها باكثير في عدن في الثلاثينيات والتي تظهر مدى الصداقة الحميمة بين الرجلين.

من الامور المستغربة جداً ايضاً عن باكثير هو الروايات المتباينة عن تاريخ ميلاده في اندونيسيا فالدكتور أحمد عبدالله السومحي في كتابه " علي أحمد باكثير - حياته - شعره الوطني الاسلامي" يذكر ان ذلك كان عام ١٩١٠م ولكنه وجد أنه من الجائز ان يكون ولد في حدود ١٩٠٨م.

أما كتاب " علي أحمد باكثير" المبدع الانسان " الصادر عن وزارة الثقافة والسياحة اليمنية عام ٢٠٠٤م فيقول " ولد بمدينة سورابايا في اندونيسيا عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م ومنهم من يرجح ١٩١٠م ووجه الغرابة هو الفرق الشاسع بين ١٩٠٠م و١٩١٠م عشر سنوات. ولا أدري كيف يمكن إلا نعرف التاريخ على الأقل على وجه التقريب لرجل عاش بين ظهرانينا وملء الدنيا وشغل الناس وأقاربه اليوم في سيئون.

بعد التنقل بين اندونيسيا وحضرموت استقر باكثير في حضرموت عام ١٩٢٨م وتزوج إلا انه مني بعدة صدمات فقد توفيت زوجته بعد وفاة طفلة له منها غرقاً كما توفي والده واخويه وفوق ذلك لقي عنتاً كبيراً في سبيل دعوته للاصلاح الاجتماعي في مجتمع حضرموت شديد المحافظة.

فقرر الرحيل إلى عدن حيث نزل في ضيافة محمد علي لقمان عام ١٩٣٢م.

وذلك كما يذكر السرمحي في كتابه، فكان لقمان يعطف عليه ويواسيه وجمعت بينهما هموم الدعوة للاصلاح وحب الشعر والأدب والثقافة وكان مجتمع عدن أكثر انفتاحاً بكثير من حضرموت بل من بقية اليمن والجزيرة العربية فارتاحت نفس باكثير بعض ضيق ووجد في لقمان الذي ولد عام ١٨٩٨م الأب " اذا كان باكثير قد ولد عام ١٩١٠م" أو الأخ " اذا كان باكثير ولد عام ١٩٠٠م" وكان والدي الدكتور محمد عبده غانم رحمه الله والمولود عام ١٩١٢م قد استقبل باكثير بقصيدة تدل على أن باكثير كان شاعراً معروفاً في ذلك الوقت. وهذه القصيدة حصلت على نسخة منها من اوراق باكثير من خلال الصديق الدكتور محمد أبوبكر حميد.

كان والدي يومها في العشرين شاعراً مبتدئاً ولو كان باكثير من مواليد ١٩١٠م فكان يومها في الثانية والعشرين فقط وهو ما استبعده ولعله ولد قبل ذلك إلا لما كان قد حصل على كل ذلك الصيت.

في تلك الفترة ويبدو أن لقمان كان يبادله القصائد والرسائل النثرية ففي تعقيب من ثلاثة أبيات لباكثير على رسائل لقمان يقول :

رأيت رسائلك الوافيه
عقوداً من الدرر الغالية
فشعر رقيق اسير التوافي
وشعر طليق بلا قافية
أفادت أخاكم علوم الحياة
لو ان له اذنا واعيه

وتدلنا هذه المقطوعة على أن محمد علي لقمان كان يقرض الشعر في ذلك الزمن وعلى الرغم من اهتمامي منذ طفولتي بالشعر وعلاقتي الحميمة بجدي لقمان فلم اطلع على أي شعر له وان كنت سمعته ينشد بشعر الاخرين بشكل مبهر كما تنبأ لي وأنا صبي في الرابعة عشر أنني سأكون شاعراً عندما تنبه لاهتمامي بالشعر وحفظي لبعض الابيات والقصائد.

وقد سألت الاستاذ فاروق لقمان عن شعر والده وكذلك المهندس ماهر لقمان فلم أجد لديهم معرفة بذلك. ولكن د. حميد اخبرني أنه لاحظ نموذجاً واحداً بين أوراق باكثير للقمان هو أقرب إلى النظم.

وفي مقال لمحمد علي لقمان نشر عام ١٩٤١م بعنوان "شعراء عدن" نقله د. عبدالعزيز المقالح في كتابه اولويات النقد الأدبي في اليمن يقول لقمان فيه " .. ويعود الفضل في وجود عدد من الشعراء في عدن إلى بعض النوادي التي أسست فيها منذ نيف وستة عشر عاماً . فقد كان عندئذ يفد على المدينة شعراء وشخصيات بارزة من ابناء العرب كالسيد عبدالرحمن بن عبيدالله والشيخ علي باكثير والسيد عبدالله بن يحيى فتحتفل بهم النوادي ويسمع اعضاؤها القصائد الرنانة في طلب المجد والحث على خدمة الاوطان وتكررت هذه الحفلات وسرت عدوى الشر إلى بعض الشباب حتى الي، فقلت كما قال غيري شعرا لاقيمة له البته إلا انه خلق شعراء ثلاثة هم عبدالمجيد الاصنج والسيد محمد عبده غانم وعلي لقمان..ويبدو لي ان لقمان اتلف ما نظمه من الشعر لانه رأه لاقيمة له ولكي لايقلل من مكانته الادبية وهو صاحب القلم السيال في مجال النثر.

علي أحمد باكثير

محمد علي لقمان

وقد حصلت من الصديق د. عبدالحكيم الزبيدي الذي انشأ موقعاً على شبكة الانترنت خاصاً بباكثير على مجموعة ما كتبه باكثير من المقطوعات إلى لقمان.

فعندما رحل لقمان للعمل في الصومال البريطاني كمدير لشركة "البس" هناك لم يطق باكثير غيابه فلحقه إلى الصومال وبعث اليه هذه الابيات من هرجيسة إلى بربرة:

قسما مالنا سواك ملاذ
فحنانيك أيها الاستاذ
لو تعطفت فانثنيت الينا
لاستثبت لنا المنى والملاذ
في ربا هرجيسة هواء وماء
ورياض ووايل ورزاذ
وطيور على الغصون تغني
ومراء جمالها أخاذ
غير أنا - وانت لست لدينا
مالنا في درك الجمال نفاذ

وعندما اطلعه لقمان على مخطوطته رحلته إلى الصومال كتب:

مرت بنا سرعى الحياة
لم تبق إلا الذكريات
لقمان هذى رحلة
ميمونة فيها عظات

وتواصلت هذه الاخوانيات فعندما توفي الطفل صلاح الدين للقمان عزى باكثير لقمان بابيات وعندما شفي ابنه عبدالرحيم هنأه بأبيات وعندما رأى صورة للقمان الغائب في الصومال في نادي الاصلاح وكانت من تصوير مكي افندي "ولعله عقيل عباسي" كتب قصيدة ظريفة عن الصورة وعندما أهداه لقمان قطعة صابون شكره بابيات وعندما ارتجل ابيات في حفل بنادي الشيخ عثمان للاصلاح ذكر لقمان في القصيدة قائلاً:

بني الاصلاح حييتم
بانفاس التحيات
وحسبكم بلقمان
زعيما طاهر الذات
وحسبكم بلقمان
خطيبا في الجماعات
يقيم النهضة الكبرى
بعزم قاهر عات

اخيراً هذه الابيات من قصيدة لباكثير بعثها الى لقمان ببربرة في الصومال تدل على مدى حبه وتقديره للقمان وشعوره بجميلة:

إن اذكارك يالقمان اشجاني
وهاج مني أحزاني واشجاني
في ذمة الله قد سلوت به
مصائب الدهر لما ان تولاني
لقيته نضؤهم فالق كبدي
وحلف سقم فداواني وسلاني
مازال باللطف والاشفاق يغمرني
حتى شفائي من دائي وعافاني
وكيف انسى خليلاً قد نسيت به
اهلي وصحبي واخواني واوطاني؟
له الارادة تلوي الخطوب بها
كأنما نحتت من صخر شمسان
حلو الحديث فصيح القول مرتجل
يوم الخطابة مايزري بسحبان
يملي بدائعه عفواً يؤيده
فكر بعيد وقول حاضر دان
مافي السريرة من غش ومن دخل
وعامر القلب من تقوى وإيمان
مؤسس النهضة الشماء في عدن
مقيمها غير هياب ولاوان
كأنه ملك مولاه ارسله
لينفخ الروح في أبناء قحطان
اني لاذكره والكأس عند فمي
فاطرح الكأس من وجد تحنان

وعندما هاجر باكثير من اليمن عام ١٩٣٣م وقضى فترة قصيرة في الحجاز قبل استقراره في مصر احتفى في الطائف الاديب حسن محمد كتبي وكتب تصدير المخطوطة ديوان باكثير "العدنيات" الذي اهداه إلى ذكرى زوجته التي رحلت في شبابها وإلى لقمان، فشكر باكثير الصديق الجديد بقصيدة ختمها قائلاً:

فكلا كما نعم الصديق كلاكما نعم الظهير
لقمان أنت وأنت لقمان ومالكما نظير